إثبات المجيء والإتيان لله تعالى

قال المؤلف –رحمه الله تعالى–:

(وَقَوْلُهُ: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ} [البقرة: ٢١٠]، وَقَوْلُهُ: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨]، {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: ٢١، ٢٢]، {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان: ٢٥]).

(الشرح)

هذه الطائفة من الآيات دلت على إثبات صفتي الإتيان والمجيء لله تعالى على ما يليق بجلاله، ومعناهما مُتقارب، وهما من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وحكمته؛ فالواجب إثباتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه، دون تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قوله: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا}: أي هل ينتظرون ويرتقبون، والاستفهام هنا للتعجيب، والإنكار على المشركين؛ يعني: هل ينتظرون ليؤمنوا إلا أن يروا إتيان الله للقضاء بين عباده، عيانًا بأبصارهم، وحينذاك يندمون، ولات ساعة مندم.

قوله: {أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ}: أضاف الله تعالى الإتيان إلى نفسه، فالله تعالى يأتي إتيانًا حقيقيًا، يليق بجلاله وعظمته، على كيفية لا نعلمها؛ لا تُدركها عُقولنا، ولا تبلغها أوهامنا، ثم عطف على ذلك إتيان ملائكته، وهذا يقطع الطريق على من أوّل إتيان الله بإتيان ملائكته؛ فقد جمع الله تعالى بين إتيانه، وإتيان ملائكته في سياق واحد.

قوله: {فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ}: الظُلل: جمع ظُلّة، وهي ما أظلك أي علاك، والغمام: السحاب الأبيض الرقيق؛ فيُنشئ الله تعالى بين يدي إتيانه هذا الغمام الأبيض الرقيق، كمقدمة لإتيانه لفصل القضاء بين عباده.

قوله: {وَقُضِيَ الْأَمْرُ}: أي حصل الفصل بين العباد، فرأى كلٌ سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

قوله: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨]: هذه الآية، كسابقتها، تضمنت إثبات إتيان الله تعالى، وعطفه على إتيان الملائكة، والعطف يقتضي المغايرة؛ فلا سبيل لأهل التحريف لحمل إتيانه على إتيان ملائكته، وفيه إشارة إلى شرط كبير من أشراط الساعة، وقد فسرها النبي، صلى الله عليه وسلم، بطلوع الشمس من مغربها، تفسيراً لا يحوج لتفسير سواه، وهذا من آخر أشراط الساعة؛ فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ} [يس: ٣٨]"[١].

فبينما الناس ينتظرون شروقها من جهة المشرق، إذا بها تخرج من وراء ظهورهم جهة المغرب! أي فزع يلحق الناس؟ الشمس التي مذ خلق الله السماوات والأرض وهي تدور في فلكها بانتظام، لا تحيد عنه قيد أنملة، يقع لها هذا التحول الهائل! فحينذاك يُغلق باب التوبة؛ فلا ينفع إيمان حادث، وتخرج الدابة على إثرها -والله أعلم-، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا» (٢).

قوله: {كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} [الفجر: ٢١]: الدك: هو الحطم والتدمير، والدق والتفتيت، وذلك أن الأرض يوم القيامة تتعرض لأحداث جسام؛ فالجبال الشامخات تمر مر السحاب، وتزول عن قواعدها، وتُبس بسًا، ويؤول حالها إلى أن تُفت وتُصبح قاعًا صفصفًا، كما قال الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا} [طه: ١٠٥-١٠٧]؛ ففي يوم القيامة تُدك الأرض دكًا دكًا، وتُصبح كالقرصة، أو كالخبزة؛ صعيدًا واحدًا، ليس فيه معلمٌ لأحدٍ؛ أرضًا مُستوية لم يُسفك عليها دمٌ؛ لا جبل يُرتقى، ولا وادٍ يُهبط إليه، ولا مغارة تُكِنّ، والناس ضاحون لربهم. تلك هي الأرض المُبدلة، التي قال الله عنها: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم: ٤٨]، وفي ذلك الموقف الرهيب ينزل الرب، ويجيء للفصل بين عباده.

قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: ٢٢]: والتقدير: وجاء ربك، وجاء الملك صفًا صفًا؛ وذلك أن من شأن ملائكة الرحمن النظام والاصطفاف، كما قالوا: {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ} [الصافات: ١٦٥]، فهم مُنظمون في جميع أُمورهم، مُنضبطون، يأتون صفوفًا، ويقومون صفوفًا، قال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ: ٣٨]؛ ولهذا قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟) فَقُلْنَا يَا رَسُولَ

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٣١٩٩)، واللفظ له، ومسلم: رقم (١٥٩).

(٢) أخرجه مسلم: رقم (٢٩٤١).

اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: (يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)[١]؛ فدلت الآية على إثبات المجيء لله تعالى مجيئًا حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته.

قوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلًا} [الفرقان: ٢٥]: يذكر الله تعالى من أحوال يوم القيامة، أن السماء تشقق بالغمام، يعني تتشقق ويُصاحب تشققها هذا ظهور الغمام الأبيض الرقيق.

قوله: {وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلًا}: أي أن الملائكة تنزل تباعًا، وذلك إرهاصٌ، ومُقدمةٌ لنزول الرب، سبحانه وبحمده، وإتيانه لفصل القضاء بين عباده، كما تقدم.

وهذا حق اليقين، لكن ما أعظم غفلتنا! لو قيل لأحدنا: إن لديك غدًا مُقابلة شخصية مع مسؤول، أو اختبار؛ لربما صار عنده نوع من التوتر، والتحسب، والترقب، وهو أمر دُنيوي زائل، ونحن نُوعد بهذه المواعيد العظام، وأحدنا ينام ملء عينيه، ويضحك ملء شدقيه، وكأن الأمر مُجرد أخبار! فنسأل الله أن يعظنا موعظة حسنة، وأن يوقظنا من سنة الغفلة، وأن يجعلنا ذلك اليوم من السعداء الآمنين.

فدلت هذه الآيات على إثبات صفتي الإتيان والمجيء لله تعالى، إتيانًا ومجيئًا، يليق بجلاله وعظمته؛ لا يشبه إتيان المخلوقين، ومجيئهم؛ فالواجب أن نُثبت ما أثبت الرب لنفسه، بلا تعطيل ولا تحريف، وبلا تمثيل ولا تكييف.

وأما أهل البدع، فعلى جري عادتهم؛ أنكروا هذا، وقالوا: يلزم منه النُقلة والحركة، والمقصود بمجيئه: مجيء أمره، كما قال: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} [النحل: ١]، أو مجيء ملائكته، كما قال: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ} [النحل: ٣٣]، والواقع أن ذلك دليل عليه لا لهم، فإنه لما أراد إتيان الأمر، أو الملائكة، أسند ذلك إليهم، فكذلك لما أراد إتيانه بذاته أسند ذلك إلى نفسه، وكل عربي قُح يفهم من هذه الآيات أن الرب يجيء، وأن الله يأتي؛ لا يفهم سوى ذلك، وصنيع هؤلاء المتأولين المحرفين يقتضي إثبات محذوف، والأصل عدم الحذف، لكن القوم، لما استصحبوا المقدمات الباطلة، وأعملوا المنطق الفاسد، واعتقدوا ثم استدلوا، فأنتج لهم ذلك الانحراف والضلال، فحرفوا الكلِّم عن مواضعه.

والإتيان أو المجيء المذكور في النصوص إما:

- **أن يأتي مقيدًا:** فيتقيد بما قيد به، ولا يكون صفة؛ مثال المجيء المقيد: قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ} [الأعراف: ٥١]؛ فالآية لا تدل على إثبات صفة المجيء لله، والمعنى أنزلنا إليهم كتابًا؛ لأنها قد قُيدت بكتاب، ومثال الإتيان المقيد: قوله تعالى: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ

---

[١] أخرجه مسلم: رقم (٤٣٠).

بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ} [المائدة: ٥٢]؛ فهذا النص لا يدل على إثبات صفة الإتيان؛ لأنه قيده بالفتح والأمر.

- **أن يأتي مطلقًا**: فيدل على الصفة، كآيات الباب.

إثبات الوجه لله سبحانه

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

(وَقَوْلُهُ: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]، {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]).

(الشرح)

هذا شروع من المؤلف في إثبات الصفات الخبرية لله تعالى، ومنها: الوجه، واليدان والعينان، والصفات الخبرية: هي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا الخبر الصحيح، وليس للعقل مدخلٌ في إثباتها، ولكنه لا يحيلها؛ فلو لم يأت نص على إثباتها، وبقيت الدهر كله تفكر بعقلك؛ هل لله تعالى وجه، ويدان، وعينان؟ ما أمكنك أن تصل إلى جواب، حتى أتى بذلك النص الصحيح الصريح.

ولكن هذا التعريف ينطبق على بعض الصفات الفعلية؛ كالنزول، والاستواء، والمجيء؛ ولهذا عرّف بعض العلماء الصفات الخبرية بأنها: ما يقابلها في المخلوقين أبعاض وأجزاء، مع تنزيه الله عن الأبعاض والأجزاء، بالمعنى البشري الدال على افتقار بعضها لبعض.

وطريقة أهل السنة والجماعة أنهم يسوقون الكلام، في باب الصفات، سوقاً واحداً؛ لا يفرقون بين الصفات الذاتية، والفعلية، والخبرية، بينما اضطربَ ميزان أهلُ البدع؛ فصاروا يقولون في موضع ما يخالفونه في موضع، ويفرقون بين المتماثلات، مع أنها من بابة واحدة.

فيعتقد أهل السنة والجماعة أن لربنا، سبحانه وبحمده، وجهًا كريمًا، لائقًا بجلاله وجماله وكماله؛ لايشبه وجوه المخلوقين، حجابه النور، كما قال صلى الله عليه وسلم: (حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)[١].

أما أهل البدع فقد ضاق عطنهم عن إثبات صفة الوجه، ورأوا أن ذلك يقتضي تمثيله بالمخلوقين؛ فقد تبادر إلى أذهانهم أن الوجه هو الوجه المعهود في الأذهان، الذي يرونه في الموجودات؛ من الإنسان، والحيوان، وغير ذلك؛ فالواقع أنهم شبهوا أولًا، وعطلوا ثانيًا؛ هذه محنة المُعطلة، يتبادر إلى أذهانهم من النصوص التشبيه أو التمثيل، فيفرون منه إلى التعطيل والتحريف، فيجمعون بين السيئتين، ولو أنهم أعطوا النصوص حقها، لوسعهم أن يُثبتوا لله ما أثبت لنفسه إثباتًا حقيقيًا، دون أن تلحقهم شانئة التمثيل.

وزعم أهل الكلام أن المراد بالوجه: الثواب، أو الذات؛ قال الشيخ مرعي الكرمي: (وتأويله عند أهل التأويل: أن المراد بالوجه الذات المقدسة، فأما صفة زائدة على الذات فلا. وهو قول المعتزلة وجمهور المتكلمين)[٢]، وهذا تحريف يُوقعهم في لوازم، لا يستطيعون الفكاك منها؛ فكيف يضاف الشيء إلى نفسه في قوله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧]؛ بزعمهم أن الوجه هو الذات؟! وكان يُغني عنه أن يقول: ويبقى ربك، وإنما قال الله: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} لمعنى مراد، وهو أن له وجهًا حقيقيًا، سبحانه وبحمده، ولهذا ختم الآية بقوله: {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}؛ فــ {ذو} من الأسماء الخمسة، وقد جاءت مرفوعة، فهي صفة لمرفوع، ولو كان الوجه هو الذات، لقال: ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام؛ كما قال في آخر السورة: {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨]؛ مما يدل على أن الله أراد إثبات وصف حقيقي، قائم بالذات، وهو الوجه.

ومن زعم أن المُراد: الثواب، لزمه أن لا يبقى إلا ثواب ربك، فقط، بعد هلاك جميع الأشياء! وهذا غير مراد قطعًا؛ لأن الآية قبلها: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}، وتفسير هذه الآية قوله في الآية الأخرى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: ٦٨]؛ فقد استثنى الله من شاء، أما عامة الخلائق والكائنات فإنها تهلك، ويبقى الرب، سبحانه وتعالى؛ ولهذا كان من أسمائه الحسنى: "الآخر"، فكان النبي، صلى الله عليه وسلم، إذا ناجى ربه يقول: (اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ)[٣]، وفي

---

[١] أخرجه مسلم: رقم (١٧٩).

[٢] أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات: (١٤١).

[٣] أخرجه مسلم: رقم (٢٧١٣).

الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَة، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِه، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ)[١].

وإنما عبر بالوجه عن الذات؛ لأن الوجه في لُغة العرب أشرف ما يكون من الإنسان؛ فتقول لصاحبك: ما فعلت هذا إلا إكرامًا لوجهك! فأشرف ما في الكينونة في لُغة العرب هو الوجه، لأنه المقصود بالمواجهة والمقابلة، ومنه قوله تعالى: {وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ} [البقرة: ٢٧٢]، وقوله: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ} [الرعد: ٢٢]، وقوله: {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل: ٢٠].

فالواجب إثبات ما أثبت الرب لنفسه، وألا نتلجلج في ذلك، ولا نستشنع شيئًا منها، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلًا، وأحسن حديثًا من خلقه، وليس لأحد أن يستدرك على الله ما قال، وليس بأغير على الله من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام -رضي الله عنهم-ذوو القريحة النقية، والسليقة العربية، لم يفهموا من إثبات الوجه ما فهمه المُتأخرون من التمثيل بالمخلوقين، بل اعتقدوا أن لله تعالى وجهًا كريمًا يليق بجلاله وعظمته؛ لا يُماثل وُجوه المخلوقين؛ فالواجب إثبات هذه الصفة الخبرية، والحذر من الوُقوع في التحريف والتعطيل، أو التمثيل والتكييف.

أما الأثر المسلكي للإيمان بصفة الوجه لله تعالى فهو التعلق به سبحانه، ورجاء رؤية وجهه الكريم؛ فأعظم لذة يُمكن أن ينالها مؤمن أن يرى وجه الله، ألم تروا أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه، تاقت نفسه إلى رؤيته، فقال: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣]. وقد كان نبينا ﷺ يقول في مُناجاته لربه: (وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ)[٢].

وهكذا كل مؤمن يشتاق أن يرى ربه وإلهه ومحبوبه؛ لأن معنى التأله الانجذاب؛ فهذا يجعل الإنسان في شوق دائم، وتَوَق، وتطلع لبلوغ هذه النعمة العظيمة، كما أن ذلك يُنشئ الإخلاص والتوحيد؛ فكلما هممت بعمل استحضرت ابتغاء وجه ربك الأعلى، كما وصف الله الأتقى من عباده بقوله: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل: ١٩، ٢٠]، فيحمله ذلك على فعل الخيرات، وبذل النفقات، والصبر على الكربات، ابتغاء وجه الله، كما تقدم في الآيات.

---

[١] أخرجه البخاري: رقم (٤٨١٢)، واللفظ له، ومسلم: رقم (٢٧٨٧).

[٢] أخرجه النسائي رقم (١٣٠٥)، وأحمد: رقم (١٨٣٢٥)، وابن حبان في صحيحه رقم (١٩٧١).

إثبات اليدين لله تعالى

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

(وَقَوْلُهُ: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]، {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]).

(الشرح)

يعتقد أهل السنة والجماعة أن لله سبحانه وتعالى يدين حقيقيتين، مبسوطتين بالعطاء والنعم، لا تُماثلان أيدي المخلوقين، وقولهم: (حقيقيتان) لا يقتضي أن تكون كأيدي المخلوقين، لكنهما يدان حقيقة؛ لا مجازًا، موصوفتان بالبسط، والقبض، والطي، والكف، واليمين، والأصابع، وغير ذلك من الصفات، التي تُضاف إلى الأيدي الحقيقية؛ لكن على ما يليق به سبحانه وتعالى.

قوله: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]: الخطاب لإبليس، حين أبى واستكبر عن السجود لآدم، وقد عبّر عنهما بصيغة التثنية، مما يقطع بإرادة الحقيقة.

قوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤]: تلك إحدى سوءات يهود، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة؛ أرادوا وصفه، سبحانه، بالبخل والإمساك، كما يقبض البخيل يده عن العطاء، ومنه قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ} [الإسراء: ٢٩].

قوله: {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]: هذا دعاء عليهم، وردٌّ لفريتهم، فلا تجد يهوديًا إلا بخيلًا! بل تجد في جميع الثقافات، والروايات، والأدبيات العالمية، وصف اليهودي بالبخل، والإمساك، والربا والابتزاز، والجشع[1]؛ فحقق الله عليهم هذه السُّبّة أبد الدهر، كما ضرب عليهم الذلة والمسكنة.

ولذلك لما سيطر اليهود على الاقتصاد العالمي أسسوا النظام الربوي، الذي يقوم على ابتزاز الآخرين واستلاب حُقوقهم، وعدم الإحسان والفضل والبذل؛ لأن هذه أخلاق يهود، قاتلهم الله.

والله تعالى لم يُنكر على اليهود إثبات اليد، كما ادعى بعض المغالطين، وإنما أنكر عليهم وصفها بأنها مغلولة، ولهذا قال بعدها: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}، فأثبتهما اثنتين كريمتين، مبسوطتين بالنفقة.

وقد أبى أهل البدع إثبات اليدين لله تعالى؛ لشُبهتهم المتهالكة، وهي أن إثبات ذلك يقتضي التمثيل! وزعموا أن المُراد باليد، النعمة أو القُدرة؛ قال الشيخ مرعي الكرمي: (وذهبت المعتزلة،

[1] ومن أشهرها رواية "تاجر البندقية" للروائي الإنجليزي "وليم شكسبير".

وطائفة من الأشعرية، إلى أن المراد باليدين في قوله: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ} معنى النعمتين، وطائفة من الأشعرية أن المراد باليدين هنا: القدرة)[1]. **والجواب عنهم من وجوه:**

أولًا: صنيعكم هذا صرف للفظ عن ظاهره إلى خلاف ظاهره بلا دليل، والأصل في الكلام أنه على حقيقته؛ فمن ادعى خلاف الحقيقة فعليه الدليل المُوجب لنقل الكلام من ظاهره إلى مجازه؛ ولا دليل عندكم، ودعوى الوُقوع في التمثيل دعوى كاذبة؛ لا يلزم منها ما توهمتم، وسبق إلى أذهانكم.

ثانيًا: أن اليد وردت في الكتاب والسنة بصيغة التثنية، فيلزمكم، على قولكم بأن اليد بمعنى النعمة، لوازم فاسدة؛ منها: حصر نعم الله بنعمتين! ونعم الله كثيرة؛ كما قال: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا} [إبراهيم: ٣٤]، وقال: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠]، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم.

ويلزمكم على تفسير اليد بالقدرة، إثبات قُدرتين! والله تعالى له قدرة واحدة يقدر بها على جميع الأشياء، بإجماع أهل السنة، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، وقد اضطرهم ذلك إلى مزيد من التأويل المتكلف؛ فقالوا: (المراد بالتثنية باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، أو باعتبار قوة الثواب، وقوة العقاب)[2]!

ثالثًا: مقتضى قولكم: عدم الفرق بين آدم وغيره من المخلوقات! والله تعالى كرم آدم، عليه السلام، بأن خلقه بيديه، فلو كان معنى: اليد: القدرة لم يكن هناك فرق بين آدم، عليه السلام، وغيره من المخلوقات، ولاحتج إبليس على ربه حينما قال له: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ}، وقال: وأنا يا رب خلقتني بيديك؛ على اعتبار أن اليد هي القدرة، لكن إبليس أفقه من هؤلاء المحرفين؛ يعلم أن لله، سبحانه وتعالى، يدان حقيقيتان خلق بهما آدم، عليه السلام، ولهذا حسده، وأبى واستكبر أن يسجد له، وهؤلاء القوم لم يُدركوا ما أدرك إبليس؛ فأي جهل أن يكون إبليس أعلم بالله منهم!

وكل قول باطل يلزم عليه من اللوازم الفاسدة ما لا يستطيع المُبطل أن ينفك منه؛ فيقع بين خيارين، لا ثالث لهما: إما أن يلتزم بلازمه؛ فيكفر، أو يرده ويبرأ منه؛ فيلزمه الرجوع عن مقالته.

والأثر المسلكي للإيمان بصفة اليدين أن يعلم المؤمن أن ربه فعّال؛ يأخذ ويقبض، ويبسط، ويعطي، ويفعل ما يشاء؛ فيكون إيمانه بإثبات اليدين لله تعالى يتراوح بين الخوف من بطشه، والرجاء لثوابه.

---

[1] أقاويل الثقات في تأويل آيات الصفات: (١٤٩).

[2] انظر: أقاويل الثقات في تأويل آيات الصفات: (١٥٠).